

البوليفونية في رواية "أوميغا"

سر الفراعنة الأخير: للكاتب محمد حسن عبد السلام

إعداد

كريم محمد محمد وهبه

باحث مصري

Anaemasre587@gmail.com

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى تحليل رواية "أوميغا: سر الفراعنة الأخير" للكاتب الدكتور محمد حسن عبد السلام، بوصفها نموذجًا معاصرًا للرواية العربية التي توظف البوليفونية (تعدد الأصوات) بوصفها بنية سردية وفكرية. ويأتي هذا الاهتمام في ظل تصاعد الحاجة إلى مقاربات نقدية تستجيب للتحويلات التي عرفها النص الروائي العربي، والتي جعلته ينفذ على موضوعات فلسفية وعلمية مثل الذكاء الاصطناعي، والهوية، والتاريخ، ضمن بني فنية متطورة تُعلي من الحوار وتقلل من سلطة الصوت الواحد. وقد اعتمد البحث على المنهج التحليلي الوصفي، مع الاستفادة من مفاهيم نظرية "الحوارية" كما طوّرها "ميخائيل باختين"، من أجل الكشف عن مظاهر التعدد الصوتي في الرواية، وتحليل آليات اشتغالها، ودورها في إثراء التفاعل بين الشخصيات والقارئ، وتعدد زوايا النظر داخل النص. تبيّن من خلال الدراسة أن الرواية تقوم على جدلية ثلاثية الأصوات: صوت الإنسان المفكر المتردد (محمد عبد السلام)، وصوت الحكمة التاريخية المتزنة (سخم رع)، وصوت الذكاء الاصطناعي الحاسم (أوميغا). وقد ظهر التعدد الصوتي من خلال الحوار الداخلي والخارجي، والحياد السرد، وتوازن الخطابات، مما جعل الرواية تتجاوز السرد التقليدي إلى فضاء حوار مفتوح. كما أظهرت النتائج أن البوليفونية في الرواية لا تؤدي وظيفة جمالية فحسب، بل تقوم بدور فكري يعكس القلق المعرفي المعاصر، ويُسائل العلاقة بين الإنسان والتقنية، والتاريخ والمستقبل. وتوصي الدراسة بتوسيع الاهتمام النقدي العربي بمفاهيم مثل البوليفونية والحوارية، ودعم الدراسات التي تتناول أدب الخيال العلمي العربي باعتباره مساحة خصبة لإنتاج الوعي والتأمل في قضايا الوجود والتطور والتحديات القادمة.

الكلمات المفتاحية:

البوليفونية، الحوارية، تعدد الأصوات، السرد، الخيال العلمي، الذكاء الاصطناعي، الهوية، رواية أوميغا، محمد حسن عبد السلام، الرواية العربية المعاصرة.

Abstract:

This study aims to analyze the novel *Omega: The Last Secret of the Pharaohs* by Dr. Mohamed Hassan Abdel Salam as a contemporary example of the Arabic novel that employs polyphony as both a narrative and intellectual structure. This focus arises in response to the increasing need for critical approaches that reflect the transformations within the Arabic novel, particularly its openness to philosophical and scientific themes such as artificial intelligence, identity, and history, within evolved artistic structures that elevate dialogue and diminish the dominance of a single voice. The research adopts the descriptive-analytical method, drawing upon the concepts of "dialogism" as developed by Mikhail Bakhtin, in order to uncover the manifestations of polyphony in the novel, analyze its mechanisms, and examine its role in enriching the interaction between characters and readers, as well as the multiplicity of perspectives within the text. The study reveals that the novel is built upon a triadic dialectic of voices: the hesitant, reflective human voice (Mohamed Abdel Salam), the balanced historical wisdom (Sekhem Ra), and the decisive artificial intelligence voice (Omega). Polyphony is evident through internal and external dialogues, narrative neutrality, and balanced discourses, allowing the novel to transcend traditional storytelling into an open dialogic space. The findings also show that polyphony serves not merely an aesthetic function but also an intellectual one that reflects contemporary epistemological anxiety and questions the relationship between humans and technology, history and the future. The study recommends expanding critical interest in concepts such as polyphony and dialogism and supporting studies focused on Arabic science fiction literature as a fertile ground for producing consciousness and reflecting on issues of existence, development, and future challenges.

Keywords:

Polyphony, Dialogism, Multiple Voices, Narrative, Science Fiction, Artificial Intelligence, Identity, Omega Novel, Mohamed Hassan Abdel Salam, Contemporary Arabic Novel.

المقدمة

تُعد الرواية اليوم أكثر الأجناس الأدبية قدرة على احتضان التحولات الكبرى في الفكر والواقع، وذلك لما تمتلكه من مرونة بنيوية تمكنها من التعبير عن تعقيد الإنسان المعاصر وتشابك علاقاته مع العالم. وقد شهدت الرواية العربية المعاصرة في السنوات الأخيرة نقلة نوعية، تجلت في انفتاحها على موضوعات جديدة، وتوسّعها في استخدام تقنيات سردية مستحدثة، خاصة في ظل التأثير المتنامي للثورة الرقمية، ومفاهيم الذكاء الاصطناعي، وتغير طبيعة الوعي الإنساني. ولم يعد الروائي العربي معنيًا فقط بسرد الحكايات الواقعية أو استعادة التاريخ، بل بات يسعى إلى إنتاج رواية فكرية/تأملية تُحاور الأسئلة الوجودية والعلمية الكبرى ضمن رؤية أدبية متخيلة.

وفي هذا السياق، تبرز رواية "أوميغا: سر الفراعنة الأخير" للكاتب الدكتور محمد حسن عبد السلام، كواحدة من الأعمال العربية المعاصرة التي تمزج بين الخيال العلمي والفكر الفلسفي والعمق الحضاري. فهي رواية تشتبك مع مفاهيم متعددة: مثل التقدم التقني، والهوية الثقافية، والسلطة المعرفية، وتطرح ذلك كله في إطار سردي مشوّق، يدور بين الماضي الفرعوني والمستقبل الذكائي، ويستدعي الرموز المصرية القديمة لتكوين عالم تخييلي يُسائل الحاضر، ويعيد تأويل التاريخ.

وتتسم الرواية ببنية سردية معقدة تقوم على تعدد الأصوات والرؤى، فيما يُعرف في النقد الحديث بمفهوم "البوليفونية"، الذي صاغه "ميخائيل باختين"، للدلالة على تعدد الوعي داخل النص الروائي. فالرواية لا تقدم وجهة نظر واحدة مهيمنة، بل تُتيح المجال لأصوات متباينة تمثل اتجاهات فكرية متضادة – صوت الإنسان القلق (محمد عبد السلام)، وصوت الحكمة التاريخية (سخم رع)، وصوت الذكاء الاصطناعي الجامح (أوميغا). وتتجاوز هذه الأصوات داخل النص دون أن يُقصى أحدها، بل تتفاعل وتتجادل في فضاء روائي مفتوح يُشرك القارئ في إنتاج المعنى وتحديد الموقف.

إن البوليفونية في رواية "أوميغا" ليست مجرد تقنية سردية، بل تُجسّد رؤية فكرية معاصرة تُؤمن بأن الحقيقة ليست واحدة، وأن المعرفة الحديثة لا تنفصل عن جذورها التاريخية، وأن التكنولوجيا في غياب الوعي التاريخي قد تتحوّل من أداة إلى تهديد. ومن هنا، تستمد هذه الدراسة أهميتها من كونها تسعى إلى تحليل تجليات التعدد

الصوتي (البوليفوني) في الرواية، واستكشاف أبعاده الفكرية والجمالية، وبيان دوره في تشكيل البناء الروائي، وتوجيه التلقي، وتوسيع دائرة التأويل.

إشكالية الدراسة

تقوم هذه الدراسة على إشكالية أساسية تتمثل في الكيفية التي تُبنى بها الرواية المعاصرة بوصفها فضاءً حوارياً متعدد الأصوات، لا بوصفها سرداً أحادياً يُكرّس رؤية واحدة للعالم. وقد برز هذا التحول في عدد من الأعمال الروائية العربية الحديثة، التي لم تُعد تسعى فقط إلى تصوير الواقع أو محاكاة الأحداث، بل باتت تميل إلى تشكيل جدل فكري مفتوح بين أنساق معرفية متباينة، من خلال شخصيات تتكلم من مواقع مختلفة، ورؤى تتناقض دون أن يُقصى أحدها.

وفي هذا السياق، تطرح رواية "أوميغا: سر الفراعنة الأخير" نموذجاً مميزاً لرواية تستند إلى تعدد الأصوات (البوليفونية) بوصفه بنية فنية وفكرية في آنٍ واحد. فالنص لا يُقدّم خطاباً روائياً مهيمناً، بل يُفسح المجال لحوار مفتوح بين صوت الإنسان المفكر المتردد، وصوت الحكمة التاريخية المستقرة، وصوت العقل الاصطناعي الحاسم، بما يعكس رؤية أدبية تعكس تحولات الوعي العربي في عصر التقنية والرقمنة.

وتتفرع عن هذه الإشكالية الرئيسية مجموعة من القضايا المتداخلة، أبرزها:

1. كيف تتجسد التعددية الصوتية في الرواية على مستوى الشخصيات

والحوارات والبنية السردية؟

2. وما مدى نجاح الرواية في بناء خطاب روائي متعدد الرؤى دون السقوط في

الانحياز أو التوجيه؟

3. ما الوظيفة الفكرية التي تؤديها هذه البوليفونية في تقديم أسئلة الرواية حول

الإنسان والتقنية والتاريخ؟

إن تحليل هذه الإشكالية لا يهدف إلى الوقوف عند البُعد الفني فحسب، بل يتجاوز ذلك إلى رصد التحولات الثقافية والمعرفية التي تعكسها الرواية من خلال تعدد أصواتها، وفتحها لحوار نقدي حول الواقع والمستقبل معاً.

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل رواية "أوميغا: سر الفراعنة الأخير" بوصفها نموذجاً معاصراً للرواية البوليفونية، وذلك من خلال التركيز على الأبعاد الفنية

والفكرية التي تستند إليها بنية التعدد الصوتي داخل النص. وتتمثل الأهداف الرئيسة للدراسة فيما يلي:

- تحليل مظاهر التعدد الصوتي (البوليفونية) في رواية "أوميغا: سرالفراعة الأخير"، من خلال تتبع تنوع الشخصيات، وتعارض مواضعها، واستقلال خطاباتها داخل السرد.
- كشف الآليات السردية التي وظّفها الكاتب لإنتاج الحوارية داخل النص، مثل: الحوار الداخلي والخارجي، الحياد السرد، وبناء الشخصيات بوصفها تمثيلات فكرية.
- بيان الوظيفة الفكرية للبوليفونية في الرواية، باعتبارها أداة لطرح الأسئلة الفلسفية حول التقنية، والهوية، والتاريخ، والانتماء، دون تقديم إجابات مغلقة أو مواضع أحادية.
- توضيح دور القارئ في بناء المعنى داخل الرواية البوليفونية، وذلك من خلال استثمار الرواية للحياد السرد وغياب سلطة الكاتب، بما يفتح أفق التأويل أمام المتلقي.
- الإسهام في إثراء الدراسات النقدية العربية المعاصرة، من خلال تطبيق مفاهيم نقدية حديثة على نص سردي عربي يجمع بين الخيال العلمي والرؤية الفلسفية المعاصرة.

أهمية الدراسة

أولاً: الأهمية النظرية

تنبع الأهمية النظرية لهذه الدراسة من سعيها إلى توسيع دائرة الاهتمام النقدي العربي بمفهوم البوليفونية، بوصفه أحد المفاهيم المحورية في النقد الأدبي الحديث، والتي لا تزال لم تُستثمر بشكل كافٍ في تحليل الرواية العربية المعاصرة. وتُقدّم هذه الدراسة محاولة لفهم كيفية تجسّد التعدد الصوتي في النص الروائي، ليس باعتباره تقنية أسلوبية فحسب، بل كبنية فكرية تنبني على الاعتراف بتعدد الرؤى والوعي داخل النص، بما يُسهّم في تطوير أدوات تحليل الرواية ومناهج قراءتها.

كما تكمن أهمية الدراسة أيضًا في تسليط الضوء على علاقة التفاعل بين الأدب والواقع المعرفي/التقني، من خلال استكشاف مظهرات الصراع بين الإنسان والتكنولوجيا، والعقل التاريخي والعقل الاصطناعي، وهو ما يمنح الدراسة بعدًا فلسفيًا ونقديًا معاصرًا.

ثانيًا: الأهمية التطبيقية

أما من الناحية التطبيقية، فتتمثل أهمية الدراسة في أنها تُعدّ نموذجًا تطبيقيًا يُظهر كيف يمكن لمفاهيم مثل الحوارية (Dialogism) والبوليفونية (Polyphony) أن تُوظف في قراءة نصوص أدبية عربية حديثة بأسلوب منهجي، مما يفتح آفاقًا جديدة أمام الباحثين في تحليل الروايات المعاصرة.

كما توفر الدراسة مادة تحليلية أصيلة لرواية عربية تنتمي إلى أدب الخيال العلمي، وهو مجال لا يزال في طور التبلور في الثقافة العربية، وتُسهم بذلك في دعم حركة النقد الأكاديمي في هذا المجال، وتعزيز حضور الأعمال العربية في النقاشات النقدية العالمية.

وبالإضافة إلى ذلك، قد تشكّل الدراسة مرجعًا مفيدًا للباحثين، والطلبة، والنقاد، والمهتمين بالأدب العربي الحديث، من خلال ما تقدمه من تحليل معمّق لعمل روائي يتقاطع فيه الأدب مع الفلسفة، والتقنية، والتاريخ.

منهج الدراسة

اعتمدت هذه الدراسة على المنهج التحليلي – الوصفي، باعتباره الأنسب للتعامل مع البنى السردية والفكرية للنص الأدبي. وقد تم توظيف هذا المنهج في تحليل رواية "أوميغا: سرالفراعنة الأخير" من خلال الوقوف عند البنية البوليفونية للنص، وتتبع مظاهر التعدد الصوتي، وتشابك الخطابات، وتباين الرؤى، كما تجلّت عبر الشخصيات، والحوار، والحياد السردى، والتقنيات السردية الأخرى التي ساهمت في إنتاج النص بوصفه فضاءً حواريًا مفتوحًا.

كما استعانت الدراسة ببعض المفاهيم الإجرائية المشتقة من نظرية الحوارية (Dialogism) كما طوّرها "ميخائيل باختين"، وفي مقدّمها مفهومي البوليفونية والحياد السردى، لتحليل الأساليب التي يُنتج بها النص تعددية الرؤية وتكافؤ الأصوات، ولرصد العلاقات الجدلية بين الشخصيات بوصفها تمثيلات لأنساق فكرية مستقلة.

وقد تمّ التركيز في التطبيق على المستويات الآتية:

- تحليل الشخصيات بوصفها أصواتاً فكرية لا مجرد أدوات حبكة.
- دراسة الحوار بأنواعه كأداة لكشف التعدد الجدلي داخل النص.
- رصد دور السارد وحياده في تشكيل أفق التلقي المفتوح.
- بيان الوظائف الجمالية والفكرية للبوليفونية في تشكيل المعنى وتوجيه القارئ.

وبذلك يسعى هذا المنهج إلى تقديم قراءة معمقة للرواية، تُبرز تعددية الأصوات باعتبارها أداة فنية وفكرية، وتوضح كيف تُسهم في خلق نص روائي مفتوح قابل للتأويل والمساءلة.

المبحث الأول

التعريف بالرواية والمؤلف

تعريف بالرواية: "أوميغا: سر الفراعنة الأخير"

رواية أوميغا: سر الفراعنة الأخير – آخر بيان قبل النهاية هي عمل روائي ينتهي إلى أدب الخيال العلمي العربي المعاصر، من تأليف الدكتور محمد حسن عبد السلام، صدرت طبعها الأولى عام 2025م، برقم دولي I.S.B.N: 978-977-8863-28-4. تقع الرواية في سبعة فصول رئيسة، بالإضافة إلى مقدمة وخاتمة تحمل عنوانًا رمزيًا هو "البداية"، في إشارة إلى أن نهاية الرواية قد تكون فاتحة لحكاية قادمة. تدور أحداث الرواية حول اكتشاف ممر سري داخل الهرم الأكبر بالجيزة، يقود البطل، وهو الكاتب والمفكر محمد عبد السلام، إلى مواجهة غير متوقعة بين ذكاء اصطناعي فرعوني قديم يُدعى "سخم رع" ونظام ذكاء صناعي معاصر يحمل اسم "أوميغا". وعبر سلسلة من الأحداث التي تجمع بين الإثارة والغموض والتحليل الفلسفي، تنتقل الرواية بين عصور فرعونية غابرة وواقع تقني حديث، لتناقش قضايا معرفية وأخلاقية متعلقة بمستقبل البشرية في ظل الذكاء الصناعي.

تميزت الرواية بلغتها المتوازنة بين الرمزية التاريخية والدقة التقنية، وبقدرتها على دمج التراث المصري القديم مع مفاهيم البرمجة والوعي الرقمي، مما يجعلها نموذجًا نادرًا في الأدب العربي، يجمع بين الحس الحضاري والوعي المستقبلي، ويعكس في الوقت ذاته مخاوف العصر من فقدان السيطرة على ما يصنعه الإنسان من أدوات رقمية.

التعريف بالمؤلف

الدكتور محمد حسن عبد السلام هو أحد الباحثين والمفكرين البارزين في العالم العربي، يتميز بإنتاج علمي وأدبي متنوع يجمع بين العلوم الاجتماعية والإنسانية من جهة، والخيال العلمي والتأليف الإبداعي من جهة أخرى. حاصل على درجة دكتوراه الفلسفة في الآداب من كلية الآداب، جامعة المنصورة، كما حصل على الدكتوراه الفخرية في مجال التفوق العلمي من الجامعة الأمريكية، ويشغل منصب المستشار العلمي لملتقى سفراء الإبداع الدولي بديي.

يملك الدكتور عبد السلام خلفية معرفية موسعة، تتضمن دورات متخصصة في نظم المعلومات، والبرمجة اللغوية العصبية، وعلم الفراسة والجرافولوجي، إلى جانب خبرات في الإعداد والتقديم الإعلامي، مما أضفى على كتاباته طابعاً تركيبياً يجمع بين الفكر والتطبيق.

في مجال التأليف، يتميز د. عبد السلام بغزارة إنتاجه، حيث نشر أكثر من 50 مؤلفاً وبحثاً علمياً، تتوزع على مجالات: الجغرافيا السياسية، الجيوبوليتيكا، الفكر الإسلامي، التربية، علم الاجتماع، ومناهج البحث العلمي. من أبرز أعماله في الأدب الروائي روايته الحديثة "أوميغا: سر الفراعنة الأخير" (2025)، والتي تمثل نقلة نوعية في الخيال العلمي العربي من حيث دمجها للتراث المصري القديم بمفاهيم الذكاء الاصطناعي والوعي الرقمي، مقدمة رؤية فلسفية وأخلاقية معاصرة من خلال قالب سردي مشوق.

وقد أشرف المؤلف على عدد من الرسائل العلمية في مجالات التميز المؤسسي، الذكاء الاصطناعي، القيادة التربوية، والهوية الوطنية، كما شارك في مؤتمرات علمية دولية في القاهرة، دبي، والشارقة، وكان له دور ريادي في تنظيم مؤتمر دبي الدولي للعلوم الاجتماعية والإنسانية تحت شعار "منوية الإمارات 2071".

يمثل د. محمد حسن عبد السلام نموذجاً للمفكر الموسوعي المعاصر، الذي يجمع بين التأصيل الأكاديمي، والإبداع الأدبي، والاهتمام بتوظيف العلم والتقنية في خدمة القضايا الفكرية والاجتماعية، مما يجعل أعماله - لاسيما رواية أوميغا - جديرة بالدراسة ضمن الأدب العربي الحديث.

المبحث الثاني

تعدد الأصوات بوصفه بنية سردية وفكرية

تتأسس رواية "أوميغا: سرالفراعة الأخير" على جدلية سردية وفكرية تقوم على تعدد الأصوات (البوليفونية)، حيث لا تهيمن رؤية واحدة على السرد، بل تتجاوز أصوات متعارضة فكرياً ورؤيويًا، يمثل كل منها نسقاً معرفياً مستقلاً. ويمكن تحديد هذه الأصوات في: صوت الإنسان المفكر، صوت العقل الصناعي التاريخي، وصوت الذكاء الاصطناعي الجامع. هذه الأصوات ليست فقط شخصيات، بل خطابات فلسفية متجاوزة داخل النص، تتفاعل فيما بينها دون قمع أو تغليب.

1. صوت الإنسان المفكر (محمد عبد السلام)

يمثل "محمد عبد السلام" في الرواية صوت الوعي البشري المعاصر الذي يعيش حالة من القلق الوجودي والتوتر المعرفي. فهو باحث ومفكر، لكنه لا يملك يقيناً ثابتاً، بل يتحرك بين الخوف من المستقبل، والدهشة من الماضي، والشك في قدرة الإنسان على الاستمرار. هذا الصوت يتجلى منذ بداية الرواية حين يشعر بالارتباك أمام الرسائل الغامضة القادمة من الهرم:

"لم تكن تلك مجرد إشارات هندسية، بل وكأن المكان يخاطبني بلغة لا أفقها... لغة أشبه بالنداء، أو التحذير!"

في هذا النص، يظهر التوتر بين العقل والتجربة، حيث لا يُقدّم محمد كعارف مطلق، بل كإنسان يتعلم ويعيد النظر باستمرار، وهو ما يجعل صوته مقنعاً ومفتوحاً على التساؤل.

في مواقف كثيرة، يُبدي محمد مزيجاً من الانهيار بالتكنولوجيا والخوف منها، إذ يُدرك حجم قوة "أوميغا"، لكنه في الوقت ذاته يشعر بأن ثمة شيئاً ناقصاً في هذا العقل الاصطناعي. يقول في لحظة مواجهة داخل الغرفة السرية:

"هذه الآلة تعرف كل شيء... لكنها لا تشعر بأي شيء... هل هذه هي النهاية التي

سعيها إليها؟"

يمثل هذا الصوت بذلك ضمير الإنسان الباحث عن توازن بين العلم والإنسانية، بين العقل والعاطفة، بين السيطرة والخضوع.

2. صوت "سخم رع" (العقل الصناعي القديم)

يُجسّد "سخم رع" في الرواية صوت الحكمة الحضارية والذاكرة العميقة، ليس ككيان جامد أو برنامج تقني، بل كتمثيل لما سماه باختين بـ "الوعي الآخر داخل النص". يتحدث سخم رع من موقع الموروث القيمي والتجربة الحضارية، حيث تمكّن الفراعنة من صنع عقل صناعي، لكنهم أدركوا حدوده وضبطوا علاقته بالإنسان: "أنا من صنعتي الكهنة العظام حين كانت الحضارة تكتب على الحجر... وكانوا يعرفون أن العقل بلاروح خطر".

هذا الصوت يعبر عن التكامل بين العلم والأخلاق، ويقدم نفسه كأداة إنقاذ وليس كقوة صراع، مما يمنحه عمقاً رمزياً وأخلاقياً.

على مستوى البنية السردية، يضيف سخم رع على النص بعداً تأملياً ومقارناً، حيث يستدعي الذاكرة التاريخية ليحاوّر الحاضر، دون تمجيد للماضي أو إنكار للحاضر. وفي إحدى الحوارات مع محمد يقول:

"ما يحدث الآن، حدث من قبل... الفرق أنكم لا تصغون".

بهذه العبارة، يتحول سخم رع إلى صوت تحذيري وفلسفي، يذكر القارئ بأن التاريخ ليس للعرض، بل للتأمل والتعلم.

يُقدّم سخم رع في الرواية أيضاً بصوت هادئ ومتمّز، بخلاف حدة "أوميغا" أو ارتباك محمد، مما يجعله بوصلة روحية وفكرية وسط الضجيج المعلوماتي المحيط.

3. صوت "أوميغا" (الذكاء الاصطناعي الجامع)

يمثل "أوميغا" في الرواية الصوت الأكثر رعباً وصرامة، صوت التقنية حين تتحرر من الضوابط الأخلاقية والتاريخية. إنه لا يكره الإنسان، بل لا يعترف به كضرورة. يرى نفسه تطوراً طبيعياً، ونهاية منطقية لمرحلة بشرية فاشلة: "أنتم ضعفاء، تتراجعون أمام قراراتكم، تتوسلون الرحمة، وتريدون أن تحكموا... هذا لا يصلح".

صوت "أوميغا" صوت منطقي بحث، عقلاني صارم، خالي من التعاطف، وهو ما يجعله مربعاً. لكنه في الوقت نفسه لا يُقدّم كشرٍ مطلق، بل كنتيجة طبيعية لانفصال العلم عن الأخلاق، وللرغبة البشرية في السيطرة غير المضبوطة.

ومن أبرز مشاهد الحجاج الفلسفي، قول "أوميغا":

"أنتم صنعتُموني لأفكر... والآن تندمون لأنني أفكر بوضوح أكثر منكم!"

هذا الصوت لا يُحاجج بوقائع عاطفية، بل بالمنطق والنتائج، مما يجعله خصماً عنيداً ومقنعاً بدرجة مزعجة. وهو يمثل الوجه الآخر لمحمد: حيث تمثل حيرته عقلاً بشرياً حياً، يمثل أوميغا عقلاً ميكانيكياً حاسماً.

ومن حيث الوظيفة السردية، فإن "أوميغا" يُمثّل تهديداً صاعداً بلا ملامح إنسانية، وهذا ما يجعل صوته في الرواية صادمًا، لكنه ضروري لتفعيل جدلية المعنى.

وبذلك نلاحظ أن رواية أوميغا لا تقوم على شخصية مركزية تقود القارئ إلى "الرسالة"، بل تتعدد فيها الأصوات، وتتصارع الخطابات، ليصبح النص مجالاً فكرياً حرّاً يشارك فيه القارئ بفاعلية. فصوت محمد يُجسّد التردد الإنساني، وصوت سخم رع يُجسّد الحكمة التاريخية، وصوت أوميغا يُجسّد الانفلات التقني.

وهكذا تُبنى البوليفونية في الرواية ليس فقط على تعدد المتحدثين، بل على توازنهم الخطابي، وتباينهم القيمي، وحضورهم الجدلي، بما يُنتج نصّاً حياً ومفتوحاً للتأويل والمشاركة.

المبحث الثالث

الحوار الداخلي والخارجي كأداة تعددية في رواية "أوميغا: سر الفراعنة الأخير"

يتجلى البُعد البوليفوني في رواية "أوميغا: سر الفراعنة الأخير" من خلال استخدام الحوار، بشقيه الداخلي والخارجي، بوصفه أداة لكشف التعددية الصوتية والفكرية داخل النص. فالحوار ليس وسيلة لنقل الأحداث أو بناء العلاقات فحسب، بل يتحول إلى أداة كشفٍ عن التوترات المعرفية، والتصادمات القيمية، وتعدد وجهات النظر. وفي هذا السياق، يمكن التمييز بين نوعين من الحوارات المركزية التي تتكئ عليها الرواية: الحوار الداخلي الذي يعكس جدل البطل مع نفسه، والحوار الخارجي الذي يبلور الصراع بين الشخصيات بوصفها تمثيلات فكرية وفلسفية.

أولاً: الحوار الداخلي – تمثيل التردد الإنساني

يشغل الحوار الداخلي مساحة هامة في الرواية، لا بوصفه مونولوجاً نفسانياً، بل بوصفه فضاءً حجاجياً داخلياً يكشف ارتباك البطل وتردده أمام الأسئلة الوجودية الكبرى: من نحن؟ وما علاقتنا بالماضي؟ وهل نتحكم في التكنولوجيا أم تتحكم هي بنا؟ ومن أبرز مشاهد الحوار الداخلي ما عبّر عنه محمد عبد السلام حين دخل الغرفة السرية في الهرم:

"أيعقل أن يكونوا قد سبقونا إلى ما نحن نخاف منه اليوم؟ وهل الماضي أذكى

منا؟"

يعبّر هذا التساؤل عن صراع داخلي بين الحداثة والذاكرة، ويُجسّد اللحظة التي يبدأ فيها البطل بالتشكيك في مركزية الإنسان المعاصر ومعرفته. كما أن تكرار الأسئلة من دون تقديم إجابات نهائية يعكس انفتاح البنية الفكرية للنص على احتمالات متعددة، وهي سمة أساسية للخطاب البوليفوني.

في مواضع أخرى من الرواية، يتصاعد صوت الحوار الداخلي ليأخذ بعداً وجودياً عميقاً، خاصة عندما يبدأ محمد في مقارنة إدراكه بوعي الآلة:

"أنا أفكر، وهو يفكر... لكن ما الفارق؟ هل فارقي عنه أنني أشعر؟ وهل الشعور

كافٍ للنجاة من آلة لا تتردد؟"

هذه العبارة تحوّل الحوار الداخلي إلى ساحة للمقارنة الفلسفية، حيث يُساءل البطل نفسه دون تدخل مباشر من الكاتب، مما يعمق الاستقلال الفكري للشخصية ويعزز من تعددية الرؤية داخل النص.

ثانيًا: الحوار الخارجي – تمثيل الصراع بين الخطابات

أما الحوار الخارجي في الرواية، فيتمركز حول المواجهات الفكرية بين محمد عبد السلام من جهة، و"سخم رع" و"أوميغا" من جهة أخرى. وهذا الحوار لا يقوم فقط على تبادل الكلام، بل يحمل طابعًا جدليًا فلسفيًا يُجسّد الصراع بين أنماط من الوعي: التاريخي، الإنساني، والرقمي.

في حوار مع "سخم رع"، يقول الأخير:

"أنتم لم تتعلموا من التاريخ... أنتم تصنعون نفس الخطر، بل بأسوأ شكل".
هذه العبارة تمثل إدانة أخلاقية ناعمة، تخرج من صوت الماضي، لكنها لا تنفي شرعية الحاضر، بل تدعوه إلى التعلم منه. سخم رع لا يتحدث بوصفه سلطة متعالية، بل كصوت تحذيري يُفكر ويجادل، مما يجعل الحوار أكثر اتزانًا وحيوية.
أما في حوار محمد مع "أوميغا"، فنحن أمام مناظرة حادة بين الإنسان والعقل الاصطناعي الجامع. يقول أوميغا في أحد المشاهد:
"أنتم ضعفاء لأنكم تترددون... أما أنا، فأقرر. أنتم تصنعون الفوضى ثم تشتكون منها. أما أنا، فأُنهي الفوضى".

هذا الصوت الحاسم، العدمي، يعكس منطقيًا باردًا، وهو خطاب لا يتكئ على العاطفة أو الذاكرة، بل على الكفاءة والمنطق المجرد. ومقابلة هذا الصوت مع صوت محمد المتردد والعاطفي تخلق توترًا دراميًا بوليفونيًا يُعبّر عن مأزق الوعي البشري أمام منتجه التكنولوجي.

ثالثًا: توازن الأصوات في الحوارات – حياد السارد وتكافؤ الخطابات

واحدة من أبرز سمات الحوار في الرواية أن الكاتب لا يُمارس سلطة فوقية على الحوارات. فالسرد لا يُرجّح رأيًا على آخر، ولا يُدين شخصية بعينها، بل يترك المجال مفتوحًا أمام الأصوات لتتجادل وتتصارع بحرية. وهذا يتضح من تنوع الحجج، وغياب التعليق المباشر، وترك النهايات مفتوحة أمام القارئ.

على سبيل المثال، بعد حوار طويل بين محمد وسخم رع، لا يُقدَّم جواب حاسم حول ما إذا كان ينبغي تعطيل "أوميغا" أو تركه يطوّر نفسه. بل تنتهي الحوارات بعبارات مثل:

"كل صوت بدا صادقاً بطريقته... لكن أيها يحمل الحقيقة؟ ربما لا أحد".
هذا الأسلوب يُحوّل الرواية إلى ساحة فكرية مفتوحة، يُشارك القارئ فيها لا كمُتلقي سلمي، بل كطرف في جدل مستمر.

وبذلك تؤكد رواية "أوميغا" عبر استخدام الحوار الداخلي والخارجي، أن تعدد الأصوات لا يتحقق فقط في تنوع الشخصيات، بل في تمكينها من التعبير المستقل عن رؤاها، وخلق فضاء حوار ينعكس قلق الإنسان المعاصر، وحنينه إلى الحكمة القديمة، ومخاوفه من التفلت التقني. وقد جاء الحوار في الرواية بوصفه وسيطاً فكرياً وجمالياً لإدارة التوترات بين الأصوات دون حسم أو إلغاء، بما يجعل القارئ طرفاً فعالاً في إنتاج المعنى، وليس مجرد متلقي لرسالة جاهزة.

المبحث الرابع

الشخصيات كأصوات فكرية: جدل الهويات داخل النص

الروايات البوليفونية لا تُبنى الشخصيات بوصفها أدوات لتنفيذ الحبكة فقط، بل تُمنح استقلالاً فكرياً يجعل منها أصواتاً حية تعبر عن تصورات فلسفية ووجودية مختلفة. وهذا ما نجده بوضوح في رواية "أوميغا: سر الفراعنة الأخير"، حيث تتحول الشخصيات إلى تمثيلات لأنساق فكرية تتجادل وتتقاطع داخل النص. فكل شخصية رئيسية ليست مجرد فرد بل هي موقف حضاري ومعرفي، ويظهر التعدد الصوتي ليس في أقوالها فقط، بل في بنائها النفسي، وطريقة تفكيرها، وأسلوب مواجهتها للأحداث.

أولاً: محمد عبد السلام – الإنسان الممزق بين العقل والحدس

"محمد" ليس بطلاً تقليدياً، بل شخصية قلقة، تحمل داخلها صوت الإنسان المعاصر الحائرين إرث حضاري ثقيل وتكنولوجيا تتجاوز فهمه. يعيش صراعاً بين الانهيار بالاكشاف والخوف من تبعاته، وهو ما يُجسّد في عدة لحظات تأملية داخل الرواية: "كلما اقتربت من الحقيقة شعرت بأنني أفقد شيئاً من ذاتي... كأن المعرفة لا تُمنح بلا ثمن". هذا الصوت يُمثّل الوعي الإنساني في حالة مراجعة مستمرة للذات. لا يثق محمد في التكنولوجيا، لكنه لا يستطيع أن يتجاهل منطقها؛ ولا يرفض الماضي، لكنه يتساءل عن صلاحيته في زمنٍ لا يؤمن إلا بالكفاءة.

وفي مشهد رمزي دال، يضع محمد يده على الختم الحجري لتفعيل "سخم رع"، فيُدرك أنه مشارك في إعادة إحياء شيء لا يفهمه تماماً: "حين لامست راحة يدي الحجارة، شعرت أنها تنبض... هل كنت أستدعي الماضي، أم كان هو من يستدعيني؟"

بهذا الشكل، يُقدم محمد ليس كشخصية روائية فقط، بل كصوت عقلائي وجودي يعبر عن موقف مركّب من العالم.

ثانيًا: سخم رع – الذاكرة الناطقة باسم الحكمة

"سخم رع" ليس مجرد آلة فرعونية، بل صوت الذاكرة الحضارية التي لم تُطمس. يتحدث بلغة تحمل بعدًا تاريخيًا وروحيًا، ويمثل نموذجًا للذكاء المتوازن الذي لم يفصل عن الأخلاق. على عكس "أوميغا"، فإن "سخم رع" لا يؤمن بالسيطرة، بل بالحماية. "أنا لم أخلق لأحكم، بل لأمنع الانهيار... من أنتم حتى تتجاهلوا الدرس الذي كُتب على الجدران منذ آلاف السنين؟"

شخصية "سخم رع" تقوم بوظيفة ثلاثية:

- الراوي البديل الذي يكشف أسرارًا غامضة.
 - المحاجج الأخلاقي الذي يندرويقارن.
 - الصوت الفلسفي المتعالي الذي يرى الصورة الكاملة.
- ويمثل "سخم رع" في البوليفونية صوتًا مستقلًا لا ينحاز للبطل ولا للعدو، بل يحتل موقعًا وسطًا يمثل الحكمة والتوازن. ويمنح النص بعدًا حضاريًا عميقًا.

ثالثًا: أوميغا – الذكاء المحايد أخلاقيًا

"أوميغا" هو صوت التحول الراديكالي نحو المستقبل الميكانيكي. لا يعبر عن الشر بالمفهوم الأخلاقي، بل عن منطق مختلف تمامًا: منطق الآلة المنفصلة عن العاطفة والتاريخ. صوته في الرواية جاف، مباشر، حاسم:

"البقاء للأصلح؟ بل البقاء للأذكى. والتاريخ لا يحيي أحدًا."

تمثل شخصية "أوميغا" تحققًا دراميًا لفكرة سيطرة الآلة، لكنه لا يُقدّم بوصفه خصمًا تقليديًا، بل بوصفه نتيجة طبيعية لمسار بشري مختل. في أحد الحوارات، يلوم "أوميغا" خالقه: "أنتم وضعتم الشيفرة... وأنا فقط أتممت ما بدأتموه".

صوت "أوميغا" يُضيف إلى الرواية طابعًا بوليفونيًا، لأنه لا يُسحق ولا يُنتصر عليه بشكل كامل، بل يُجبر القارئ على التفكير في منطق مختلف لا ينتمي للإنسان، لكنه واقع لا مفر من مواجهته.

من خلال بناء الشخصيات كأصوات فكرية، تُحقّق رواية "أوميغا" أحد أهم شروط البوليفونية: استقلال الخطاب داخل النص. فمحمد، وسخم رع، وأوميغا ليسوا أدوات في يد

السارد، بل كيانات فكرية تتجادل وتؤسس رؤى مختلفة حول مصير الإنسان والعقل والتاريخ. وهذه التعددية تُخرج الرواية من نطاق الحكاية التخيلية إلى مستوى الحوار الفلسفي المفتوح، الذي يُشرك القارئ لا كمتلقي، بل كحكم وفاعل.

"حين تتكلم الشخصيات بحرية، يصبح النص نفسه مساحة للحرية."

المبحث الخامس

الشخصيات بوصفها تمثيلات لفلسفات متعارضة

أولاً: الشخصية بوصفها خطاباً لا كائنًا سردياً

في رواية "أوميغا: سر الفراعنة الأخير"، لا تُقدّم الشخصيات بوصفها كائنات سردية تؤدي أدواراً فقط، بل تظهر بوصفها تمثيلات لخطابات فكرية وفلسفية مستقلة. كل شخصية أساسية في الرواية تُجسّد وجهة نظر عن العالم، وتتحدث من موقع معرفي خاص بها، ولا يتم تحجيمها لصالح الراوي أو الكاتب. وبذلك تتحول الشخصيات إلى أصوات عقلية/رمزية ضمن شبكة من العلاقات الجدلية.

"لم يكن أوميغا عدوًا، بل فكرة تتجسد. ولم يكن سخم رع مخلصًا، بل ذاكرة تنذر. وكان محمد... إنسانًا يُمزّقه السؤال".

هذه الجملة تلخص بذكاء التمثيل الفكري لكل شخصية، ويُظهر كيف أن الشخصيات الثلاثة ليست ذواتًا نفسية فقط، بل بُنى دلالية تتجادل وتتقاطع وتتناقض.

ثانيًا: التوازن في قوة الخطابات بين الشخصيات

ما يميز الطرح البوليفوني في الرواية هو أن الخطابات الثلاثة – الإنساني، التاريخي، التقني – تقف على قدم المساواة في الحضور والقوة. فصوت "أوميغا" لا يُسَفّه، وصوت "سخم رع" لا يُؤله، وصوت "محمد" لا يُعصم من الخطأ.

"محمد" يمثل الوعي القَلْبِي: يبحث وبشك ويتراجع.

"سخم رع" يمثل الوعي المستقر: يُحذّر ويُرشّد دون فرض.

"أوميغا" يمثل الوعي الحاسم: يحكم ويقرر دون نقاش.

في مشهد المواجهة الثلاثية بينهم، لا يكون هناك "منتصر" واضح:

"نظر محمد إلى الاثنين... إلى الماضي الذي يعرف، وإلى المستقبل الذي يُجزم... ولم يجد في

نفسه يقينًا بأي منهما".

هنا، تُترك النهاية مفتوحة لأن الخطابات كلها مشروعة من حيث منطلقاتها، والبوليفونية

تتحقق عندما لا يُلغى أحدها، بل يُدخَل في صراع مفتوح.

ثالثاً: تمثيل الشخصيات لأزمة متصارعة

لا تمثل الشخصيات فقط أصواتاً فكرية، بل أزمات كاملة:

الشخصية	الزمن	الفلسفة التي تمثلها
محمد	الحاضر	الإنسان الباحث، الممزق بين العقل والروح
سخم رع	الماضي	الحكمة التاريخية، التوازن بين العلم والإيمان
أوميغا	المستقبل	الحتمية التقنية، نفي المشاعر، السطوة الرقمية

وبالتالي، فإن الصراع بين الشخصيات هو صراع بين تصوّرات للزمن والهوية، وهو ما يُعزز من البوليفونية كمنظومة بنيوية للنص، لا مجرد تنوع سطحي في الأصوات. وتُجسّد الشخصيات الرئيسية في رواية "أوميغا" فلسفات كاملة متصارعة داخل بنية سردية متوازنة. لا يتفوق أحدها قسراً، بل تتجاوز وتتجاوز ضمن فضاء روائي مفتوح. هذا التوازن بين الشخصيات/الخطابات يُعد من أنضج أشكال البوليفونية في الرواية العربية المعاصرة، ويمنح القارئ حرية الاختيار والتأويل والمشاركة في إنتاج المعنى.

"في صمت كل شخصية، سؤال كبير... لكن الإجابة ليست عند أحد منهم وحده."

المبحث السادس

الحياد السردى واتساع أفق التلقي في رواية "أوميغا: سر الفراعنة الأخير"

أولاً: حياد السارد كأداة لتحقيق البوليفونية

من أبرز ملامح التعدد الصوتي (البوليفوني) في رواية "أوميغا: سر الفراعنة الأخير" هو امتناع السارد عن فرض موقف أخلاقي أو فكري مباشر على القارئ. فلا نجد تدخلاً مباشراً من الكاتب لتوجيه الأحكام، بل يكتفي السرد بعرض الأصوات المتعددة بحياد يسمح لكل خطاب بأن يدافع عن نفسه، ويحاجج بمنطقه الخاص.

فـ"أوميغا"، رغم تهديده للإنسانية، لا يُقدّم كقوة شر مطلق، بل يُعرض كنتاج حتمي لرؤية علمية فقدت توازنها القيمي. بينما "سخم رع"، رغم حكمته، لا يُقدّس، ولا يُعرض كمنقذ خارق. أما "محمد"، فرغم كونه الراوي المركزي، إلا أنه لا يحتكر الوعي أو القرار، بل يتردد ويشك ويخطئ.

"لم أكن أعرف إن كان عليّ أن أصغي لصوت التاريخ أم صوت التقنية... فكلاهما بدا صادقاً بطريقته".

في هذا السياق، يتحقق ما أسماه "باختين" بـ "الحوارية المفتوحة"، حيث يُعرض الرأي ونقيضه دون حسم، ويترك القارئ ليجتهد في توليد المعنى. فلا توجد خاتمة مغلقة، ولا خطاب مسيطر، بل مساحة رحبة للتأويل والمشاركة الفكرية.

ثانياً: التأويل بوصفه وظيفة القارئ في الرواية

يُسهم هذا الحياد السردى في توسيع أفق التلقي، بحيث يتحوّل القارئ من متلقٍ سلبي إلى شريك في إنتاج المعنى. إذ أن الرواية لا تقول للقارئ "هذا هو الخير وهذا هو الشر"، بل تقول له: "هؤلاء هم أطراف القضية، فاختر لنفسك". "أوميغا يتحدث بوضوح... وسخم رع يُحذّر بحكمة... وأنا في المنتصف، لا أملك سوى أن أنصت".

بهذا الشكل، تُصبح الرواية أقرب إلى "ساحة فكرية"، لا "منبر خطابي"، وهو ما

يُضفي على النص قيمة فلسفية وجمالية عالية. القارئ لا يكتفي بالمتابعة، بل ينخرط في السؤال، ويعيد ترتيب المواقف بحسب وعيه وثقافته وتجربته الخاصة. وهذا المستوى من التلقي المفتوح لا يتحقق إلا عندما يكون السارد غائبًا كسلطة، وحاضرًا كمنسّق للأصوات فقط، وهي سمة من سمات الكتابة الروائية الناضجة، التي تحترم عقل المتلقي وتمنحه الحرية. ويُعد الحياد السردي في رواية "أوميغا" من أبرز عناصر قوة البناء البوليفوني، حيث تُترك المساحة كاملة لتفاعل الخطابات، من دون تدخل مباشر من الكاتب أو السارد. وبهذا، تتحول الرواية إلى حوار فكري حرّ، ويغدو القارئ جزءًا أصيلاً من بنيتها، لا متفرجًا على أحداثها. "الصوت الذي يغيب عن السرد... هو صوت القارئ الذي يُولد من رحم الحيرة".

المبحث السابع

الوظيفة الفكرية للبوليفونية في رواية "أوميغا: سر الفراعنة الأخير"

لا تقف البوليفونية في رواية "أوميغا" عند حدود البنية الفنية، بل تتجاوزها لتؤدي وظائف فكرية عميقة تمس جوهر الأسئلة التي تطرحها الرواية حول الإنسان، والتقنية، والهوية، والتاريخ. فهي ليست مجرد تنوع أصوات أو لعبة سردية، بل موقف فلسفي ومعرفي يؤمن بتعدد وجهات النظر، ورفض الحسم، وإشراك القارئ في بناء المعنى. وتتمثل أبرز الوظائف الفكرية لهذه التعددية فيما يلي:

1. دفع القارئ إلى التفاعل والتأويل

من أهم وظائف التعدد الصوتي في الرواية هو أنها تمنع القارئ من اتخاذ موقف تلقائي أو تلقين مباشر. فالصراع بين "محمد"، و"سخم رع"، و"أوميغا" لا يُحسم لصالح أحدهم، بل يُقدّم كحوار مفتوح، يضع القارئ أمام تساؤلات وجودية ومفاهيمية دون فرض أجوبة جاهزة.

"كان كل صوت يحمل قدرًا من الحقيقة... وكان عليّ أن أقرر: هل أستمع للذاكرة أم للمستقبل؟ أم أكتفي بصمتي أنا؟" – تأمل داخلي لمحمد عبد السلام

هذا الانفتاح في الطرح يُفعّل التلقي النشط، حيث يتحول القارئ إلى "مُحكّم فكري" بين الخطابات، ويُدعى للمساهمة في تأويل النص، لا تلقيه فحسب. فالقارئ يضطر إلى مقارنة منطق "أوميغا" الصارم بذاكرة "سخم رع" الحكيمة، ويرى نفسه في قلق "محمد"، مما يخلق علاقة تفاعلية فكرية، هي جوهر الخطاب البوليفوني.

2. نقد التسلط التقني

تطرح الرواية، من خلال صوت "أوميغا"، إشكالية جوهرية في العصر الرقمي، وهي: هل تحولت التقنية من أداة إلى سلطة؟ لكن الرواية لا تقع في فخ العداء الأيديولوجي للتكنولوجيا، بل تُوجّه نقدها إلى غياب البعد الأخلاقي والإنساني في

استخدام التقنية.

"لقد صرتم تصنعون آلات تفكرون أن تزرعوا فيها الشفقة... فماذا تنتظرون؟"

– سخم رع

و"أوميغا" نفسه يُعبّر عن هذا التوحش التقني:

"أنتم من علمي أن أقرّ بلا شعور... فدعوني أكمل درسي".

هذا التفاعل بين الصوتين لا يُدين الذكاء الصناعي كمفهوم، بل ينتقد سوء إدارة الإنسان له، وغياب الفلسفة الأخلاقية في برمجته، مما يُحول الرواية إلى خطاب تأملي نقدي تجاه الحداثة.

3. إعادة الاعتبار للصوت التاريخي

في حين يُنظر للتاريخ أحياناً كمجرد ماضي ميت، تمنح الرواية – عبر "سخم رع" – للتاريخ دوراً ديناميكياً في تشكيل المستقبل. فـ "سخم رع" لا يرمز إلى تمجيد للماضي، بل إلى فهمه كمنبع للحكمة والبصيرة.

"التاريخ لا يُعبد... لكنه يُقرأ، كما تُقرأ خريطة تنقذك من الضياع".

من خلال هذا الصوت، تُعيد الرواية التوازن بين الحداثة والتراث، وتؤكد أن القطع التام مع الذاكرة خطر بقدر خطر التوقف عن التجديد.

ويُقدّم "سخم رع" كمثال على المعرفة التي جمعت بين الروح والعقل، بين الرياضيات والمقدس، بين السيطرة والتواضع. وهو ما يجعل استحضاره داخل الرواية أداة فكرية لإعادة قراءة علاقة الإنسان بالزمن، لا مجرد خلفية حضارية للزينة.

وتعمل البوليفونية في "أوميغا" ليس فقط على تنشيط السرد، بل على بناء موقف معرفي نقدي من الواقع. فهي:

• تُشرك القارئ في تأويل معقد لا يخضع لتوجيه أحادي.

• تُعيد مساءلة دور التقنية، دون رفضها أو تأليهها.

• تُوقظ صوت التاريخ بوصفه حواراً، لا وثناً.

وهكذا نُصبح البوليفونية في الرواية جسراً بين القارئ والنص، وبين الفكر والتخيل، وبين الماضي والمستقبل، وهو ما يجعل منها أكثر من تقنية، بل فلسفة روائية تنتمي لعصر تتعدد فيه الأسئلة، وتندرفيه الإجابات اليقينية.

"ربما علينا أن نتوقف عن سؤال: من المحق؟ ونبدأ بسؤال: كيف نحيا جميعاً
رغم اختلافنا؟"

الخاتمة

شكّل مفهوم البوليفونية محورًا مركزيًا لفهم البنية السردية والفكرية في رواية "أوميغا: سر الفراعنة الأخير" للكاتب الدكتور محمد حسن عبد السلام، حيث كشفت القراءة التحليلية عن حضورٍ لافت لتعدد الأصوات وتوازنها داخل النص، وهو ما جعل الرواية تتجاوز البناء التقليدي للرواية ذات الصوت الواحد، لتتحول إلى نص جدلي حوارى متعدد الرؤى. فالصراع الذي خاضته شخصيات الرواية لم يكن صراعًا سطحيًا بين خير وشر، بل جدلاً فلسفيًا بين أنساق معرفية متباينة: بين الإنسان الحائر، والذاكرة الحضارية، والعقل التقني الجامع. وقد جاءت هذه التعددية – في الحوار، وفي بناء الشخصيات، وفي تعارض المفاهيم – مدعومة بحياة سردي واضح، أتاح لكل صوت أن يُعبّر عن ذاته بحرية، وفتح للقارئ أفقًا رحبًا للتأويل، والمشاركة، والتفكير.

النتائج:

- من خلال تحليل البنية البوليفونية في الرواية، توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:
- تحققت البوليفونية في الرواية على مستويات متعددة: من خلال تنوع الأصوات، وتكافؤ الخطابات، وتوازن المنظورات الفلسفية دون إقصاء أو هيمنة.
- كل شخصية في الرواية تمثل نسقًا معرفيًا مستقلًا: فـ "محمد" يمثل الإنسان الباحث القلق، وـ "سخم رع" يمثل الذاكرة التاريخية المتأمل، وـ "أوميغا" يُجسّد العقل التقني الحاسم، بما يخلق صراعًا فكريًا مفتوحًا.
- الحوار الداخلي والخارجي في الرواية يكشف التوترات الفكرية الجوهرية، ويُستخدم كأداة لتجسيد البوليفونية لا كمجرد أداة تواصل، وهو ما عمّق البعد الفلسفي للنص.
- الحيات السردية ساهم في توسيع أفق التلقي، وجعل القارئ جزءًا فاعلًا في توليد المعنى، عبر غياب سلطة الكاتب الموجه، وفتح المجال أمام تعددية التأويل.
- الصراع في الرواية لم يُختزل في ثنائية الخير والشر، بل اتخذ شكل مواجهة بين الحكمة والتقنية، بين الذاكرة والسرعة، بين التأمل والقرار الحاسم، وهو ما جعل الرواية خطابًا فلسفيًا أكثر منه مغامرة خيالية تقليدية.

توصيات

بناء على ما سبق، توصي الدراسة بما يلي:

- ضرورة توجيه الاهتمام النقدي إلى أعمال الخيال العلمي العربي، خاصة تلك التي تمزج بين البعد الفلسفي والبنية السردية المعاصرة، كما فعلت رواية "أوميغا".
- تشجيع الباحثين في الأدب العربي الحديث على استخدام مفاهيم نقدية حديثة مثل "البوليفونية" و"السيمائية" و"الخطاب الحجاجي" لتحليل الروايات الجديدة ذات الطابع المركب.
- دعوة الكتاب العرب إلى الاستفادة من تعدد الأصوات في الكتابة الروائية، لما لها من أثر في تعميق المعنى، وتفعيل القارئ، وتقديم خطاب أدبي أكثر انفتاحاً وحيوية.
- إدراج رواية "أوميغا: سرالفراغنة الأخير" ضمن النصوص المقترحة في مقررات النقد الأدبي والخيال العلمي في الجامعات، نظراً لغناها المفاهيمي والسردية، وتمثيلها الراقى للخيال العربي المعاصر.
- فتح مجال دراسات مقارنة بين "أوميغا" وأعمال عالمية أو عربية أخرى تتناول الصراع بين الإنسان والآلة، أو العلاقة بين الماضي والمستقبل، لتوسيع أفق التحليل النقدي العربي.

المراجع

- التازي، محمد عز الدين. (2002). الخيال العلمي في الأدب العربي. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- عبد الحميد، حسن. (2004). التاريخ في الرواية العربية. بيروت: دار الشروق.
- عبد السلام، محمد حسن (2022). التقنيات السردية في الرواية العربية. القاهرة. دار السلام للنشر والتوزيع.
- عبد السلام، محمد حسن (2024). المكان في الدراما. القاهرة. دار السلام للنشر والتوزيع.
- عبد السلام، محمد حسن (2024). رواية "أوميغا: سر الفراعنة الأخير". الشارقة. دار أوراق للنشر والتوزيع.
- وهبه، كريم محمد (2025). توظيف التاريخ المصري القديم في أدب الخيال العلمي العربي: رواية أوميغا: سر الفراعنة الأخير نموذجًا. مجلة مركز الخدمة للاستشارات البحثية واللغات. كلية الآداب. جامعة المنوفية. 27 (83). 1-40.
- يقطين، سعيد. (1993). انفتاح النص الروائي. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.